

حول قصة «عذاب المعرفة»

للاديب الفاص علي بدور اسلوب خاص في معالجة القصة. فالقصة عنده قبل ان تكون مسرحا للوقائع والحوادث المتشابكة المتلاحمة ، هي جلسة مخبرية يحلل فيها النقاط الدقيقة في سلوك الانسان ، وهذا التحليل وان بدا غير متعمد لاستتار الاغوار السحيقة لتاريخ الانسان واكتناه الجاهل القصية لفلسفة الحياة ، الا انه - والحق يقال - تحليل مغمم بالفهم العميق والمعالجة المخلصة ، والدراسة الواعية . وتؤكد هذا القول قصة - عذاب المعرفة - المنشورة في عدد اذار الفاتت من الاداب . ان قصة - عذاب المعرفة - لا تشغل سوى فصل واحد على مسرح القصة . الا ان هذا الفصل الوحيد في مضمونه ومحتواه هو اكثر من فصل . والسر في ذلك ان المؤلف يملك من القدرة على اشعاع الحركة والذفاء ، ما يجعل من هذا الفصل الواحد مسرحا كاملا تتصارع فيه شتى التيارات والتفاعلات . فنحن نرى ان - حامد - لم يغير مكانه طوال القصة ، كذلك الزوج وزوجته ، ما عدا تلك الخطوات القلائل التي خطوها جميعا من موقف الباص الى داخل الباص . الا ان قدرة علي بدور على المعالجة والتفنيد والاستقراء تجعل من جمود الزاوية التي يقف فيها ابطال قصته هذه ، مرضا نابضا بالحياة ، مليئا بالتفاعل ، غنيا بالحركة . فابطال القصة ليسوا جامدين جمود المكان الذي يقفون فيه ، انما هم متفاعلون مع القصة الى ابعد حدود التفاعل . فنحن نراهم وهم يفكرون ويشعرون .. ويتحركون .. ونحس بهم وهم سعداء وهم معذبون . كل هذه الانفعالات والخواطر نحيها مع هؤلاء الابطال ، ومع - علي بدور - وهو يفوض بخياله الخصب اللهم الى اعماق نفوسهم فيكشفها لنا ، ويصورها او فر تصوير ، فكاننا مع هؤلاء الابطال في حركاتهم وسكناتهم ، في خواطرهم وانفعالاتهم ، في سعادتهم وفي عذابهم ، ومرجع ذلك كله الى قوة التحليل ، ودقة الوصف لسلوك الانسان . والصفة المميزة لتقصص علي بدور ، هي طريقتة الخاصة في المعالجة . فهو يعتمد على الحوار الداخلي ولا يهجم تشابك الحوادث ، او كثرة الفصول . القصة عنده عمل هادئ وقور رزين .. لا يسعى في وراء اكتشاف محيط ، او غزو جزيرة ، انما هدفه الرئيسي في القصة ان يهيب للقارئ اكبر فرصة ممكنة للتعرف على ابطاله ، كيف يبذون .. كيف يفكرون .. في اي شيء يفكرون .. ولماذا يفكرون .. ما هي انطباعاتهم .. ما هي انفعالاتهم ، اي ان القصة عند علي بدور تتخذ سمة الفلسفة ايضا ، وهذا من الزايا الفريدة التي تكسب القصة نكهة خاصة فتجعلها شبيهة ومحببة .

وما اقوله عن قصته هذه ، اقوله ايضا عن قصته - انتهت الرحلة - التي سبق نشرها في مجلة «المعرفة» والتي تمد بصدق لوحات رائعة . وهذه القدرة على تجسيد شخصيات الابطال بصورة امينة ووفية ، تعود الى رفاة الحس ودقة الشعور ، وقوة الملاحظة لدى المؤلف . فهو قبل ان يكون كاتباً للقصة ، انسان مثقف يعي من حقائق الحياة اكثر مما تتطلبه كتابة القصة . والوجه الاخر الذي يتخطاه كتاب القصة نجده يلعب بتألق رائع في قصص علي بدور ، وربما كان حشد القصة بعشرات الحوادث اسهل على القاص من استتار واستقصاء اعماق ابطال القصة . وما اصفى تلك الانسيابات الرقيقة التي يلجا اليها علي بدور في قصته هذه حينما يجعل ابطالها يطلقون ما في صدورهم ،

ويعكسون ما في بواطنهم ، حتى تقترب كل هذا الاقتراب من موضوع واشخاص واتجاه القصة . ان رصد الابعاد في سلوك الانسان ليس بالامر اليسير ، لكن الاديب البارع بما يملكه من وسائل التنقيب والاستقصاء يجعل من مهمة القصة رحلة ممتعة وشيقة منا .

الا ان هذه القصة رغم تماسكها ، تتعرض لبعض الهزات بسبب ذلك الغموض الذي ربما لم يظن اليه المؤلف ، او تجاوزه عمدا .

١ - مضي « حامد » في بداية القصة يتذكر تلك التي التقى بها ذات يوم ، ثم افترقا ، وهو يتطلع الى « سميرة » . لكن من هي سميرة؟ ومتى فزت الى مسرح القصة ؟ الم يقل المؤلف في بداية قصته انه لم يعرف اسم تلك التي التقى بها ذات يوم ؟ اذن كيف يمضي في التنويه بانها سميرة ؟ ان عبارة واحدة لانتشال هذا الغموض . من الفرق لا تجد لها مكانا بين سطور القصة .

٢ - كذلك غموض تلك العبارة التي يصف بها المؤلف زوج سميرة بانه : لا يعرف . دون ان ينير لنا السبيل لمعرفة الامر الذي لا يعرفه الزوج . هل هو معرفة حامد لسميرة - وهذا غير مؤيد باي اشارة - ؟ ام هو الجهل بالمعرفة ككل ؟ ام هو الفناء والبلاهة ؟

٣ - ثم كيف يتعارف الثلاثة داخل الباص ، والزوج لا يعرف .. والزوج لم تعر حامد اي نظرة ؟!

٤ - وكيف يتم هذا التعارف - اذا كان قد تم - وحامد لا يزال يحترق شوقا ولوعة الى سميرة ، وهو الذي في جوانحه مرارة الخيبة من الانسان ، ومن كل علاقة انسانية اخفق في اقامتها مع اللواتي عرفهن في حياته !!! ..

اعود لاقول : ان القصة في بنيانها العام تحمل معنى الصمود امام التمزق النفسي الرهيب ، وتحفل ببهجة الفلسفة حين يشيعها الفكر المتقدي الفني بالوان المعرفة .

ممدوح مولود

حلب

حول تعليق ...

الحقيقة اني ما فهمت ما يعنيه المعلق عبد الفتاح الديدي بما سماه « اوليات » متصلة بموضوع مقالتي « ونستون تشرشل في ميزان التاريخ » ، وما فهمت ايضا ما يعنيه « بتحديد الاطار » الذي يتناول شخصية تشرشل .

لقد وفيت تشرشل حقه بالعظمة ، كمحارب ، وكاتب ، وبرلماني ، ورئيس الامبراطورية البريطانية في احلك ايامها . واعترفت له بالدور الكبير في انتصار الحلفاء . فما هي الاوليات التي كان علي ان احيط بها ؟ وما هو الاطار الذي كان علي ان اتناول فيه شخصية تشرشل ، « ليكون مقالتي جيدا ، ولا تبقى نتائجه فردية متصلة بشخصية تشرشل ، فاستحق اذذاك - بنظر المعلق - ان اكون بمستوى مهنة الكتابة التي تتطلب عادة حيلة اكبر » ؟

الم يجد حضرة المعلق في المقال وقائع تاريخية تشهد بعظمة تشرشل ، كرجل دولة ، ومحارب ، وكاتب ؟ افيتسع المجال في مقال ، على ثلاث صفحات ، لتفاصيل احداث تاريخية معينة ، « تمكن القارئ من فهم منطق القضية التي يعرضها الكاتب » ؟ ان المقال يا سيدي المعلق ليس كتابا يتسع لشرح كل حادثة بتفاصيلها وتواريخها وما يحيط بكافة جوانبها .

على انه يبدو ان بيت القصيد في تعليق الاستاذ عبد الفتاح

الديدي ، هو مروري على القضية الصهيونية وعلاقتها بتشرشل . هذه القضية التي يأخذ علي حضرة الملق ، « اني تحدثت عنها كما لو كانت موضوعا شائعا ومعروفا ، يخشى هو أن اكون افترض في قرائني معرفة التاريخ علما وعملا . »

لو انتبه الملق الي أن موضوع المقال هو « ونستون تشرشل في ميزان التاريخ » لا « ونستون تشرشل والقضية الصهيونية » لما اعطى نفسه حق اظهار غيرته على القضية الفلسطينية وعلاقة تشرشل بها . فالنقل تقييم لظلمة تشرشل ، وحصيلة عظمته فيما يتعلق بعالمنا العربي ، ولكن لا بأس من ان اقول لحضرة الملق ، اني لا افترض فقط ، بل اؤمن ، بان القراء العرب يعرفون دور تشرشل في القضية الصهيونية ، حتى من ليس بمستوى الاستاذ الديدي العلمي . ان خطب وتصاريح تشرشل عن هذه القضية ملات صحف العالم كلها . ولست انا من متفوقي فن الزيادة باظهار الفيرة على فلسطين ، لكي اشحن مقالا عن تشرشل ، بما تناولت فيه القضية الفلسطينية ، الا تناولا جانبيا .

شخصيا لم يكن لي الشرف ان اعرف الاستاذ عبد الفتاح الديدي ، ولا اعلم كم كانت سنة بعد الحرب العالمية الاولى ، عندما جاء تشرشل بصفته وزير المستعمرات في الحكومة البريطانية - ليطبخ سياسة بلاده في البلاد العربية . فاذا شاء حضرة الملق ان يعرف دور تشرشل في القضية الصهيونية ، فاني احيله على ابلغ كتاب ، لاحسن من ادخ هذه القضية ، المؤرخ « ابيكاروس » ، في مؤلفه Palestine through the fog of propaganda . فيجد فيه ما يسميه اوليات اوردها المؤلف نقلا مخلصا عن اقوال وتصاريح تشرشل ، ان اثناء وجوده في فلسطين ، او في مجلس العموم البريطاني .
خذ يا سيدي الملق شيئا منها :

للتمتع بعطلتك الصيفية

مكتبة انطوان

تقدم لك

احسن الكتب العربية

التي توفر لك المتعة والمنفعة

بعدها رفض تشرشل استقبال الوفد العربي في مصر ، تنازل واستقبله في فلسطين . اقرا في كتاب ابيكاروس ، كيف استقبل تشرشل الوفد بطريقة غليظة ومهينة ، وعندما طالبه الوفد باعادة النظر بوعد بلفور ووقف الهجرة اليهودية كان جوابه الغاضب « ان ما تطلبونه ليس من صلاحيتي ، ولو كان من صلاحيتي لما فعلت ، اننا نعتقد ان فيه الخير للعالم ، ولليهود ، والامبراطورية البريطانية ، وايضا للعرب القاطنين فلسطين ، ونحن نريد هكذا » .

وفي السعة ايام التي قضاها في فلسطين لطبخ سياسة بلاده الاستعمارية ، كان اتصاله الدائم بالوكالة اليهودية ، وبالعمد البريطاني ، هربرت صموئيل اليهودي ، المعين في هذا المركز من تشرشل بالذات ، بقصد مساعدته في زرع الفرسة الصهيونية . واذ غادر تشرشل فلسطين اطمان الي تقسيمه البلاد العربية الي دويلات ، مهينا المناخ الملائم لقيام ربيته اسرائيل ، عن طريق اضعاف العرب ، وتفسيخ الجبهة العربية .

وما دام حضرة الملق يريد اوليات ، فليأخذها من نفس الكتاب ، في تصريح لتشرشل في مجلس العموم في تموز ١٩٢٢ : « ان العرب طيلة الالف السنين ما عملوا شيئا لفلسطين ، التي كان عليها ان تنتظر مجيء اليهود ، لتصبح وطنا لائقا » . وهو التصريح الذي قيل فيه لروثشيلد من قبل المستر « ستور » : « انها احسن نهاية لاشرق يوم » .

وخذ من نفس الكتاب جواب تشرشل على قول وايزمن (كان وايزمن قد قال امام لجنة « بل » ان فلسطين ستكون يهودية كما هي انكلترا انكليزية) ، كان جواب تشرشل ما يلي « رغم ان وايزمن اخطأ اختيار كلمته ولكن ذلك لا يعني ابدا عدم قيام دولة يهودية » .

واذا تركنا الماضي البعيد ، الا يذكر حضرة الملق ، تصريح تشرشل عن مفامرة « ايدن » ابنه الروحي في غزو مصر عام ١٩٥٦ ؟ ما احسب ان احدا عنده الامام بالشؤون العامة ، الا واطلع على تصريح تشرشل ، الذي ايد فيه مفامرة ايدن ، ووضع اللوم على من ساعد في فشلها .

ما كان من اللزوم ، يا سيدي الملق ، ان تتبرا في تعليقك من الدفاع عن تشرشل . فاني اجلك عن الدفاع عن من كان عدو الاماني العربية رقم واحد . ولكن ما الحيلة اذا اشتم احد من التعلق رائحة الدفاع غير المقصود بالطبع . فالدفاع دفاع اكان مقصودا ام غير مقصود .

الدكتور جورج حنا

تعقيب

تعقيبا على رد الاستاذ « بشير قبطي » (الاداب ، حزيران ١٩٦٥) على نقدي (الاداب ، ايار ١٩٦٥) لقصيدته حنين (الاداب ، نيسان ١٩٦٥) ارجو ان يرجع القارئ الى الاعداد المذكورة ليتأكد من بطلان كل كلمة من كلامه وليستوتق من ان الكاتب لم يفهم حتى قصيدته ثم ليرجع الى معاجم اللغة ولكتب النحو والصرف والخلافات للفصل فيما خطاني فيه الكاتب الفضال ، وما ذلك الا لاناي بنفسي عن الشاحنة فيما لا غناء فيه .

السيد احمد الشرنوبى

القاهرة